

مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١ اتحاد إفريقي حديثي لم يكتب له النجاح

د. نور الدين الداودي

أستاذ باحث في العلاقات الدولية والقانون الدولي
الكلية المتعددة التخصصات بالعراش
جامعة عبد المالك السعدي - المملكة المغربية



مُلخَص

عرفت بلدان إفريقيا خلال فترة الستينات من القرن الماضي موجة من الاستقلالات، نتيجة لارتفاع مطالب دول العالم الثالث بضرورة تمكين الدول المستعمرة من حقها الأممي المتمثل في تقرير المصير. وتزامن مع ذلك ظهور حركات فكرية تحريرية تزعمها مجموعة من القادة الأفارقة امنوا بفكرة الكفاح من أجل استقلال إفريقيا والتخلص من تبعات الاستعمار، وسعوا إلى لم الشتات الإفريقي في إطار وحدة قارية. مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١ وجه من أوجه للتنظيمات الإفريقية، والتي عكست إرادة مجموعة من القادة الأفارقة النابعة من الفكر التحرري، والتواقة إلى تحرير إفريقيا من أغلال الاستعمار، والآملة إلى جعل مصر إفريقيا بيد أبناءها. ورغم أنه لم يكتب له أن يستمر إلا أنه ساهم بشكل كبير في إنكاء الروح الوحدوية للدول الإفريقية والتي توجت من بعد سنتين من تاريخ المؤتمر بميلاد منظمة الوحدة الإفريقية. ولعل مشاركة الأفارقة في حماية الوحدة الوطنية للكونغو، وعقد مؤتمر أديس أبابا في ماي ١٩٦٣، خير دليل على قناعة الزعماء الأفارقة بالفكر الوحدوي الذي وضع لبناته الأولى الملك محمد الخامس، مما يعد صورة من صور ممارسة الدبلوماسية المغربية التي دخلت التاريخ للبقاء فيه وإن لم يكتب لها الاستمرار.

بيانات المقال:

كلمات مفتاحية:

أزمة الكونغو؛ استقلال موريتانيا؛ القضية الجزائرية؛ التفرقة العنصرية؛ الوحدة الإفريقية

تاريخ استلام البحث: ١٣ مايو ٢٠١٩
تاريخ قبول النشر: ٢٦ يوليو ٢٠١٩

DOI 10.21608/KAN.2020.152059

معرف الوثيقة الرقمي:

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نور الدين الداودي، "مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١: اتحاد إفريقي حديثي لم يكتب له النجاح". - دورية كان التاريخية. - السنة الثالثة عشرة - العدد السابع والأربعون، مارس ٢٠٢٠، ص ١٩٦ - ٢٠٤.

Official website: <http://www.kanhistorique.org>

Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>

Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>

Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: ad.noureddinedaoudi@gmail.com

Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com

Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نشرت هذه الدراسة في دورية كان التاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع للأغراض تجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةٌ

إذا كانت إفريقيا لم تضم في بداية الخمسينات سوى ثلاثة دول مستقلة -غانا، مصر، إريتريا- فإن جل أقطارها كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار. وقد لازمت هذه الظروف التي كانت تعرفها إفريقيا أن ظهرت حركة تحريرية تحاول الاتجاه نحو الوحدة على مستوى القارة، ولكي يتحقق هذا المطلب، كان لابد من كسر الخطوط الإقليمية التي رسمها الاستعمار للقارة. وهكذا عقد لقاء (أكرا) الذي دعا إليه الرئيس (كوامينكروما) في أبريل ١٩٥٨ والذي حضره إلى جانب المغرب العديد من الدول الإفريقية، وقد أكد المجتمعون على أهمية حماية الاستقلال والسيادة والوحدة الترابية للدول الإفريقية ثم جاء (مؤتمر الدار البيضاء) الذي كان بدعوة من محمد الخامس (ملك المغرب) ما بين ٣ و ٧ يناير ١٩٦١، حيث حضرته ٥ دول هي: غانا، مالي جمهورية العربية المتحدة والحكومة الجزائرية المؤقتة، وليبيا التي اكتفت بالحضور كملاحظ. وتغيبت دول أخرى إما عمدا أو لعدم دعوتها أو لظروف سياسية معينة. وسيللاحظ تراجع في عدد الدول التي حضرت المؤتمر رغم ازدياد الدول المستقلة ما بين (١٩٥٨-١٩٦١) وهو ما قد يعكس حالة الانقسام في القارة بين مكونات هذه المجموعة التي وصفت بـ "التقدمية". وبين مجموعة "منروفيا" التي ضمت عددًا أكبر من الدول بقيادة نيجيريا.

وقد سارت السياسة الخارجية المغربية مع المجموعة الأولى، أي مع دعاة الوحدة الإفريقية، وكسر الخطوط الإقليمية التي رسمها الاستعمار، وإقامة جسور جديدة لتخطي الحواجز: وقد شكل المؤتمر منعطفًا في تاريخ القارة الإفريقية وفي تاريخ العلاقات الدولية للمغرب كما شكل محطة لدراسة السياسة الإفريقية للمملكة المغربية، وذلك اعتبارًا للدور الكبير الذي لعبه المغرب من أجل جمع أهم أقطاب إفريقيا وأكثرها تأثيرًا في مصير القارة الإفريقية وهو ما أدى إلى صدور "ميثاق مجموعة الدار البيضاء" ليؤكد أهم الأهداف التي تلتزم القارة بتحقيقها وهي القضاء على النظام الاستعماري والقضاء على الميز العنصري بجميع مظاهره ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله، ودعم الاستقلال.

وعلى العموم، إذا كان مؤتمر الدار البيضاء قد بلور التوجه العام للسياسة الخارجية المغربية تجاه إفريقيا، فإنه عكس أيضًا تيارًا إفريقيًا يحمل أفكارًا تقدمية اتجاه قضايا القارة، هذا الأمر يحيلنا إلى طرح إشكال جوهري يتمثل في كيف بلور مؤتمر الدار البيضاء لسنة ١٩٦١ إرادة حركة تحريرية تقدمية متطلعة إلى

الوحدة الإفريقية؟ ومقاربة هذا الإشكال تقتضي تجزئته إلى أسئلة فرعية تتجلى فيما هي الظروف العامة لانعقاد هذا المؤتمر ومن تم ما هي أهم النتائج التي حققها؟ وإلى أي حد عكست هذه النتائج نجاح هذا المؤتمر؟

أولاً: السياق العام لعقد مؤتمر الدار البيضاء

يقصد بهذا السياق بيان التحولات التي عرفتها الساحة الدولية والإقليمية والوطنية لعقد المؤتمر، لذلك يمكن الوقوف عند هذا الأمر من خلال ثلاثة نقط أساسية.

١- التحولات الدولية لعقد المؤتمر

لقد كانت هناك بالضرورة علاقة سببية تربط بين عقد المؤتمر والمحيط الدولي، حيث أن كانت هناك ظروف إقليمية ودولية تحكمت في عقد المؤتمر، وهذا ما سوف يتم تبيانه من خلال المستويين التاليين من التحليل، يتناول الأول التحولات السياسية العالمية التي كان يعرفها العالم قبل انعقاد المؤتمر، في حين ستركز في المستوى الثاني على المتغيرات الإيديولوجية المتعلقة بتدبير الواقع العالمي.

١/١- التحولات السياسية

لقد ظل المغرب محتفظًا بعلاقة متوازنة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وكثف علاقاته مع الدول العربية وناصر كل قضاياها، كما ساند كل الشعوب الإفريقية. وقد كانت الأوضاع التي عاشتها تلك الدول الإفريقية، وتهافت الدول الاستعمارية حافزا للسياسة الخارجية المغربية في شخص الملك محمد الخامس لدفع الدول الإفريقية للتكتل والاتحاد فيما بينها، أيضا كانت حافزا لخلق قوة قارية تستطيع حل مشاكلها بنفسها.

فمع بداية الستينات عرفت موجة استقلال العديد من الدول، وتحالف العديد من حركات التحرير الوطنية إن على مستوى العربي أو الإفريقي^(١)، وقد تم إصدار آذاك عدة قرارات عن الأمم المتحدة تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، وخاصة قرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤ سنة ١٩٦٠ الخاص بتصفية الاستعمار في العالم، مما دفع بالعديد من الشعوب إلى المزيد من المقاومة ضد المستعمر من أجل الاستقلال. وتأسيسا على ذلك يمكن القول أن ظروف القارة الإفريقية مهدت للأخذ بمبدأ الحياض ومبدأ عدم الانحياز من قبل الدول الإفريقية، في فترة أواخر الخمسينات حينما كانت تخوض فيها حربا ضد الاستعمار^(٢) فيمكن اعتبار سنة ١٩٦٠ بمثابة سنة القارة الإفريقية، على الصعيد الدولي لأن جل مستعمرات الفرنسية والبلجيكية استطاعت انتزاع استقلالها، مما جعلها تنضم إلى المنظومة

فيما بينها، من أجل مناهضة الاستعمار بكل أشكاله، والعمل في سبيل الوحدة الإفريقية، الأمر الذي سيسجل مرحلة تاريخية هامة في حياة القارة، وهذا ما سوف نتناوله في هذا المبحث، من خلال دراستنا لكل من أزمة الكونغو ك مطلب أول، وأزمة الجزائر ك مطلب ثاني.

١/٢- أزمة الكونغو

يمكن القول أن أزمة الكونغو تجلت منذ ماي ١٩٦٠ حين أجريت انتخابات في الكونغو كينشاسا والتي أعطت الفوز فيها للحركة الوطنية الكونغولية A.N.C، وبذلك عين الزعيم "P.Lumumba" باريت لومومبا" رئيساً للحكومة وانتخب "كازافوبو kasavobو" رئيساً للجمهورية. وفي ٣٠ يونيو ١٩٦٠ أعلن عن استقلال الكونغو بحضور الملك "بودوان" عاهل بلجيكا. غير أنه نتيجة للتعقيدات القبلية بالمنطقة وضغوط الإقطاعيين الكاطنكيين، فقد أعلن "موسى تشومبي M.Tshombe" عن استقلال منطقة "كاتانكا katanga" وهي أغنى منطقة بالكونغو، مما جعل الحكومة الكونغولية تستنجد بالأمم المتحدة التي أرسلت عدة كتائب من مختلف الجنسيات، لكن وجود تلك القوات لم يحل الأزمة وازداد المشكل تعقيداً وتأزم الوضع، وقامت حرب أهلية رهيبية.

نتيجة لهذه الأوضاع المتردية التي عرفتها الكونغو والتي كانت بمثابة إنذار للدول الإفريقية المستقلة حديثاً، أو التي مازالت تكافح للحصول على استقلالها، أن تلقى نفس المصير الذي لحق القطر الإفريقي. فما كان أمام الملك "محمد الخامس" إلا أن يستجيب لنداء الرئيس الشرعي للكونغو "باتريس لومومبا"^(٩) بإرسال تجريدة عسكرية ضمن قوات الأمم المتحدة لحماية الحكومة الكونغولية الفتية ورئيسها "لومومبا"^(١٠) والمبادرة بتقديم المساعدة الفنية والإدارية التي سبق أن طلبها "لومومبا" أثناء زيارته للمغرب^(١١). وظل عجز الأمم المتحدة وظهور عدم كفاءتها في حل المشكل، نتيجة لدور المستعمر الذي رغم انسحابه من الكونغو إلا أنه ظل مسيطراً عليه اقتصادياً من خلال السيطرة على موارده الأولية والإبقاء على القواعد العسكرية، وهو ما أدى إلى تمزيق دولة الكونغو خصوصاً عندما ألقى الانفصاليون القبض على "باتريس لومومبا" وسجنوه وعذبوه عدة أيام، ثم قتله ولم يعلن عن وفاته إلا في بداية يناير ١٩٦١. وقد بادر المغرب إلى الانسحاب من الكونغو في ١٢ دجنبر سنة ١٩٦٠، حتى لا يتعارض ذلك مع مصلحة التحرر الإفريقية^(١٢). وتتابع المحاولات من قبل الأمين العام "همرشولد" الذي قتل في حادثة، بعد سقوط طائرته في

الدولية^(١٣)، وهوما يتجلى بالخصوص في عقدها لعدة مؤتمرات تدعو إلى التحرر والاستقلال ومكافحة الاستعمار^(١٤)، ونخص بالذكر مؤتمرات أكرا بغانا وتونس^(١٥)، والتي مهدت لمؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١.

٢/١- المتغيرات الإيديولوجية

كان للعوامل الإيديولوجية دور مهم في الدفع بالقادة الأفارقة لعقد المؤتمر، بهدف انتشار القارة الإفريقية من المشاكل والقضايا التي كانت تتخبط فيها في ذلك الوقت، ويمكن حصر هذه المتغيرات الإيديولوجية في إيديولوجية التحرر. فأغلب القادة الأفارقة الذين اجتمعوا في الدار البيضاء سنة ١٩٦١ تلبية لدعوة العاهل المغربي محمد الخامس، وعلى رأسهم القادة الثوريين: "جمال عبد الناصر"، "سيكوتوري"، "نكروما"، "موديبوكيتا"، كانوا عموماً من أشد المدافعين عن إيديولوجية تصفية الاستعمار، ودعوتهم لاستقلال جميع الدول الإفريقية^(١٦).

كما تجلت هذه الإيديولوجية بشكل واضح في خطاب "نكروما" في الجلسة الختامية للمؤتمر يوم ٧ يناير ١٩٦١، حيث أكد على ضرورة الوحدة السياسية لإفريقيا قائلًا: "أسوأ ما أحشاه هو أنه إذا لم نضع مخططات للوحدة: ونتخذ الخطوات النشيطة لتشكيل الوحدة السياسية، فإننا سرعان ما نختصم وتتحارب فيما بيننا فيما يقف الإمبرياليون والكولونياليون وراء الستار يشدون الأسلاك الأتمة ليدفعوننا إلى ذبح بعضنا بعضاً من أجل أغراضهم الشيطانية في إفريقيا، حيث أنشأت حدود مصطنعة من قبل المستعمر تفصل بين الأخ والأخ، والأخت والأخت. وفي إطار الاتحاد الإفريقي الواسع تزول هذه الحدود المصطنعة التي فرضها الاستعمار والإمبريالية"^(١٧). فإيديولوجية إزالة الاستعمار تحيل إلى إيديولوجية أخرى، وهي إيديولوجية عدم الانحياز، والتي تتجلى في شكلها المبسط في عدم الانحياز لأية سياسة أجنبية، وعدم السماح لأية مجموعة أو سياسة أجنبية بتحويل إفريقيا كلاً أو جزءاً إلى قواعد لها. وإيديولوجية عدم الانحياز في حقيقتها هي تعبير عن موقف سياسي للدول الرافضة لتقسيم النفوذ في العالم^(١٨). ومن ثم فإن هذا الموقف سيكسر إيديولوجية التمييز والتفريق بين الشعوب على أساس جغرافي أو لغوي، خاصة بعد عقد "مؤتمر منروفا" ومؤتمرات حكومية أخرى والتي كان موقفها محافظاً اتجاه المستعمر.

٢- التحولات الإقليمية

لقد كانت للأوضاع التي عاشتها الدول الإفريقية، خصوصاً كل من الكونغو والجزائر دافعاً للدول الإفريقية للتكتل والاتحاد

بين العوامل الجوهرية لعقد مؤتمر الدار البيضاء لمناقشة القضايا الإفريقية، فلقد استطاع المغرب من خلال هذا المؤتمر أن يستصدر قرار يدعم موقفه للمطالبة باستكمال وحدته الترابية وفي نفس السياق ساند هذا القرار على المستوى القطري مجلس الجامعة العربية الذي عقد في شتورة بلبان ٢٢ أغسطس ١٩٦٠ مطالب المغرب في موريتانيا.

٢/٣- حاجة المغرب إلى نهج سياسة خارجية جديدة

اضطر المغرب في ظل التحولات الدولية السالفة الذكر إلى نهج سياسة تضمن له مكانة أفضل على المستوى الدولي، لذلك انخرط المغرب في إيديولوجيا تصفية الاستعمار، واتجه نحو الاندماجات والتحالفات الإقليمية وفيما يلي نتوقف للتفصيل في هاتين النقطتين كل على حدة.

أ- المغرب وسياسة تصفية الاستعمار

لقد كان القرار التاريخي ١٥١٤ الخاص بتصفية الاستعمار سنة ١٩٦٠ دور مهم في منح العديد من الدول الإفريقية استقلالها^(٩)، بحيث أصبح هذا القرار فيما بعد توجهًا دوليًا يسير نحو التأكيد على أحقية الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها من جهة، ومرجعية دولية لمقاومة المد الاستعماري من جهة أخرى. وهذا ما دفع فرنسا لمنح مستعمراتها الاستقلال بإفريقيا جنوب الصحراء في نطاق ما كان يسمى المجموعة الفرنسية التي تكونت تحت اسم كتلة برازافيل، الأمر الذي أدى إلى إحداث تغيرات جديدة في الخريطة الإفريقية مهدت الطريق أمام الدول الحديثة الاستقلال لأن تتجدد إزاء التحديات المستقبلية المشتركة. وفي نفس السياق كافح المغرب كما باقي الدول الإفريقية للحصول على استقلال حقيقي من الاستعمار بل وسعى إلى مجابهة أي نوع جديد منه^(١٠)، وتجل ذلك في الدعوة إلى خلق تحالف إفريقي من خلال مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١، فما كان أن استجاب القادة الأفارقة لدعوة محمد الخامس وعلى رأسهم القادة الثوريين: "جمال عبد الناصر"، و"سيكوتوري" ونيكروما" وهم من أشد المدافعين عن إيديولوجيا إزالة الاستعمار، وعدم السماح لأية قوة أجنبية بتحويل إفريقيا كلاً أو جزءاً إلى قواعد عسكرية لها^(١١).

ب- المغرب والتحالفات والاندماجات الإقليمية

تعكس العلاقة الوثيقة بين التحرير والنضال، والسعي إلى التحالف والاندماج والسعي الوحدوي لتغيير التجزئة التي كرسها المستعمر برسم حدود اصطناعية، السعي الجديد لإفريقيا ما بعد الاستقلال، فكان على الأفارقة اختراق هذه الحدود وتكسيدها، وتقديم صورة أخرى من صور عدم الانحياز^(١٢) وقد

روديسيا. ولو يتم حل مشكل الكونغو إلا في يناير ١٩٦٢، حينما تدخلت الأمم المتحدة وجعلت حدا لانفصال كاتانكا^(١٣).

٢/٢- أزمة الجزائر

لقد كان لمشاركة " فرحات عباس " رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية في المؤتمر، دليل وبرهان على الاهتمام الإفريقي بفضية الجزائر، فقد كانت المقاومة الجزائرية تقترب من الحصول على استقلالها، وقد حصلت القضية الجزائرية في الدورة ١٥ لهيئة الأمم المتحدة على تأييد واسع، رغم مناورات المستعمر بإعلان الدخول في استفتاء لتقرير المصير بموجب اتفاقية إفيان، صوت فيه الجزائريون لصالح الاستقلال عن فرنسا. وهذا ما دفع القادة السياسيين الأفارقة لدعم القضية الجزائرية، من خلال مناقشتها في جدول أعمال المؤتمر واتخاذ القرارات اللازمة بذلك^(١٤).

٣- التحولات الوطنية

أعقب استقلال المغرب العديد من الصعوبات، وطرحت على الدبلوماسية المغربية تحديات صعبة، خاصة ما يتعلق بالوحدة الترابية واندماج المغرب في التنظيم الدولي، ويمكن تناول ذلك من خلال التوقف عند أزمة الوحدة الترابية في نموذج استقلال موريتانيا كمطلب أول، كما يمكن تناول إشكالية اندماج المغرب في التنظيم الدولي من خلال توجه السياسة الخارجية المغربية كمطلب ثاني.

١/٣- استقلال موريتانيا

استطاع المغرب بفضل المقاومة المسلحة لجيش التحرير ضد القوات الفرنسية، أن يضغط على الحكومة الفرنسية لتشكيل لجنة مشتركة لرسم الحدود، إلا أنه وبعد توقف المواجهة العسكرية، و بروز معطيات جديدة في المناطق الصحراوية التابع للنفوذ الاستعماري الفرنسي، أهمها اكتشاف الحديد بموريتانيا، دفعت الحكومة الفرنسية من أن تعيد النظر في مسألة التفاوض بخصوص مستقبل موريتانيا مع المغرب، وعزمت إلى منح موريتانيا الاستقلال، وواكبته بإجراء رفع طلب للأمم المتحدة للاعتراف بموريتانيا كدولة مستقلة وقبول عضويتها في الأمم المتحدة.

فما كان على المغرب إلا أن يحتج على الموقف الفرنسي الذي جعله أمام الأمر الواقع، فواجهت الدبلوماسية المغربية الموقف الفرنسي بكون القضية الموريتانية تدخل في إطار تصفية الاستعمار، وسعى بذلك إلى كسب مساندة البلدان التقدمية في كل من إفريقيا وأيضاً العالم العربي التي كانت ترفع شعار مناهضة الإمبريالية. وتظل المسألة الموريتانية من

نقاش طويل تم الاتفاق على أن قوات الدول المشاركة في المؤتمر ينبغي أن تنسحب حيث صرح المؤتمر بما يلي:

- يعلن نية وعزم الدول الممثلة فيه على سحب قواتها والأفراد العسكريين الآخرين الموضوعين تحت قيادة الأمم المتحدة بالكونغو، ويجدد التأكيد على اعترافه بالبرلمان المنتخب وحكومة جمهورية الكونغو المشكلة قانونيا في (٣٠ يونيو ١٩٦٠).

- من جهة أخرى حث التصريح على أن تعمل الأمم المتحدة فوراً على تجريد عصابات موبوتوم السلاح، والإفراج عن الأعضاء السياسيين من السجن، وإبعاد جميع البلجيكين من الكونغو.

(١/١) ٢-مساندة القضية الجزائرية

بما أن الدورة (١٥) للجمعية العامة للأمم المتحدة اعترفت بحق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير، فإن المؤتمر أعلن بدوره عن^(٢٢) عزمه على تأييد الشعب الجزائري والحكومة المؤقتة، بجميع الوسائل من أجل استقلال الجزائر، ومطالبته الدول الأخرى بالاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة. كما دعا المؤتمر إلى سحب الجيوش الإفريقية العاملة تحت القيادة الفرنسية بالجزائر. وهدد بأنه في حالة استمرار الحرب فإن الدول المشاركة في المؤتمر ستعمل على مراجعة علاقتها بفرنسا.

(١/١) ٣-دعم الموقف المغربي بشأن المسألة

الموريتانية

لقد كانت موريتانيا أهم قضية بالنسبة للمغرب، حيث كان يرى بأن المناورات الاستعمارية كانت ترمي إلى تقسيم أراضي الدول الإفريقية بغية إضعافها، وهذا ما فعلته فرنسا حين اقتطعت من المغرب جزأه الصحراوي رامية من وراء ذلك إلى دعم سلطتها في إفريقيا واستغلال خيرات البلاد وإيجاد منفذ لها على المحيط الأطلسي^(٢٣). لذلك استنكر المؤتمر كل أنواع الاستغلال الاقتصادي والسياسي والعسكري لإفريقيا، وأيد في نفس الوقت كل عمل يقوم به المغرب في موريتانيا لاسترجاع حقوقه المشروعة. وتبين من هذا أن قرار المؤتمر بشأن المسألة الموريتانية جاء متماشياً مع طموح الحكومة المغربية آنذاك في كسب دعم كامل للموقف المغربي ضد الموقف الفرنسي.

(٢/١) ٢-ملفات ذات طبيعة مشتركة

(٢/١) ١-القضية الفلسطينية

رأى المغرب في الدعوة لانعقاد المؤتمر، خير فرصة للتعريف بالقضية الفلسطينية^(٢٤). لذلك صدر قرار عن المؤتمر يلح على

تجسد ذلك من خلال مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١، حيث استطاع هذا المؤتمر من تحطيم الحاجز الذي يفصل بين إفريقيا العربية وإفريقيا المدعوة إفريقيا جنوب الصحراء، وضم المؤتمر دولاً من كلا الجانبين، وهذا يعني أنه تجاوز الصعوبات الجغرافية التي يعترضها المستعمر حاجزاً أمام الوحدة الإفريقية^(٢٥). ولم تحضر فرنسا في المؤتمر رغم وجود أعضاء من السلك الدبلوماسي الفرنسي المعتمد بالرباط في الجلسة الافتتاحية، وقد علقت جريدة "الفجر" التي كانت تصدرها وزارة الاتصال في افتتاحيتها ليوم ٦ يناير ١٩٦١، على عدم حضور السفير الفرنسي بالقول: "أتفق الكل على التصريح بأن مؤتمر الدار البيضاء عقبة أقيمت في وجه الاستعمار، وهو يفتح الطريق أمام إفريقيا محررة وموحدة. إن عدم حضور السفير الفرنسي في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، والانتقادات التي توجهها أجهزة الإعلام الفرنسية لهذا المؤتمر، مؤشراً على فشل الكولونيالية الفرنسية^(٢٦)".

ثانياً: مخرجات مؤتمر الدار البيضاء

١-القضايا التي عاجها المؤتمر

تناول المؤتمر العديد من القضايا الإفريقية المحلية والعامة انطلاقاً من القضية العربية الإسرائيلية، إلى السياسة العنصرية التي سلكها اتحاد جنوب إفريقيا^(٢٧). وقد تمخض عن مناقشات الدول المشاركة في المؤتمر مجموعة من القرارات نوردها وفق القضايا التي صدرت بشأنها كالتالي:

١/١-ملفات ذات طبيعة خاصة

لعل من الصعب التمييز بين القضايا ذات الطبيعة المحلية والقضايا العامة التي تناولها المؤتمر، غير أن التقسيم المقترح يبقى تقريبي فقط. لذلك نجد أهم القضايا التي تخص إفريقيا كما يلي:

(١/١) ١-معالجة مشكلة الكونغو

كان وضع الكونغو وقت انعقاد المؤتمر حديث العهد بالاستقلال عن الاستعمار البلجيكي وبسبب ظهور حركات انفصالية، تدخلت القوات الدولية، وشاركت دول إفريقية في هذه القوات، وهي (غينيا، مالي والجمهورية العربية المتحدة). وهوما طرح الإشكال المركزي للنقاش حول دعوة هذه الدول لسحب قواتها من الكونغو، وكان الشعور السائد هو أن الأمم المتحدة لن تتخذ تدبيراً فعالاً لحل المشكل القائم، وأنه لم يعد أي نفع للقوات الإفريقية أن توضع تحت تصرف منظمة الأمم المتحدة. وبالرغم من أن الرئيس "كوامي نكروما"^(٢٨)، كان معارفاً للفكرة معتبراً الانسحاب بمثابة خيانة، إلا أنه بعد

المستوى العملي كان لدول الاستعمار دور كبير في الحيلولة دون تنزيل هذا المبدأ للحفاظ على روابطها مع هذه الدول كل على حدة. وكان على المؤتمر، لتكريس هذا المبدأ أن يخرج بمشروع منظمة إقليمية.

مبدأ عدم الانحياز:

والمقصود هنا عدم انحياز القارة الإفريقية لأية كتلة من الكتل، وعدم الارتباط بالغرب في أي صورة من الصور^(٣)، وهو ما نصت عليه الفقرة الثانية من البيان الختامي للمؤتمر والذي عبر عن إرادة الدول المشاركة في صيانة وتعزيز اتحاد وجهات النظر، ووحدة العمل في الشؤون الدولية والحفاظ على الاستقلال الذي تم إجماعه بمجهود شاق، وحماية سيادة البلدان الترابية، وسلامة أراضيها، وتعزيز السلام في العالم بانتهاج سياسة عدم الانحياز^(٤). إلا أن هذا المبدأ شكل نقطة اختلاف بين المكونات السياسية للقارة الإفريقية خاصة مع دول مجموعة "برازفيل" التي رأت أنها غير مستعدة لتطبيقه، وذلك لارتباطها بفرنسا ارتباطاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً ورغم هذه الصعوبات، فقد تم تكريس مبدأ عدم الانحياز في الممارسة الدولية.

مبدأ الكفاح ضد جميع أشكال الاستعمار القديم والحديث:

يتجلى هذا المبدأ بتحرير الأقاليم الإفريقية التي كانت ما تزال تحت السيطرة الأجنبية بتقديم المعونة والمساعدات إليها للقضاء على جميع صور الاستعمار. هذا المبدأ كان بدوره عرضة للانتهاك وذلك لكون الدول حديثة العهد بالاستقلال قد فرض عليها أثناء المفاوضات قبول الاستقلال السياسي بشرط الحفاظ على روابط اقتصادية.

مبدأ حسن توزيع الثروة بين البلدان الموقعة على الميثاق:

تمت إضافة هذا المبدأ ضمن التوصيات بسبب انتشار الفكر الاشتراكي آنذاك حيث نصت التوصية على "... ضمان توزيع هذه الثروات توزيعاً عادلاً بين جميع مواطنيها.

مبدأ التعاون بين الدول الإفريقية:

نص البيان الختامي كذلك على ضرورة القضاء على جمع أشكال الاضطهاد العنصري في إفريقيا وإقامة تعاون فيما بينها في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ويبدو أن هذا المبدأ هو أيضاً واجه صعوبات لظروف جغرافية والسياسية^(٥).

٢-٢ (١/٢) - على مستوى المؤسسات

قرر المؤتمر إنشاء هيئات متعددة تتولى تنسيق سياسة القارة في جميع مجالات التعاون الإفريقي وبالتالي تنفيذ ما تم الاتفاق حوله ومن هذه المؤسسات نذكر:

ضرورة حل هذه المشكلة حلاً عادلاً طبقاً لما نصت عليه مقررات الأمم المتحدة وقرارات المؤتمر الإفريقي الآسيوي في باندونغ، لأنها تشكل تهديداً للسلام والأمن الدوليين. كما استنكر المؤتمر السياسة الإسرائيلية في مناصرة الاستعمار.

٢-٢ (٢/١) - مسألة التجارب الذرية

اتخذ المؤتمر قراراً يعارض فيه بشدة استمرار فرنسا بتجاربها الذرية في الأراضي الإفريقية رغم توصيات الأمم المتحدة، كما استنكر تواطؤ فرنسا ودعمها العسكري لإسرائيل بما يتنافى مع إحلال السلم في الشرق الأوسط والشمال الشرقي لإفريقيا.

٢-٣ (٢/١) - التنديد بسياسة التفرقة العنصرية

استنكر المؤتمر سياسة الدول الاستعمارية التي تؤيد معنوياً وسياسياً وعسكرياً حكومة جنوب إفريقيا التي تتبع سياسة التفرقة العنصرية فيما كان يعرف بسياسة الأبرتايد. وفي هذه القضية كان موقف المؤتمر يتماشى مع قرارات الأمم المتحدة المنددة بالتفرقة العنصرية.

٢-٤ (٢/١) - قضية رواندا وأوراندي

أعلن المؤتمر بشأن هذا الإقليم الذي كان موضوعاً تحت الوصاية الدولية^(٦). تأييده دون تحفظ لقضية الشعب الأوراندي في نضاله للحصول على الاستقلال واستنكر محاولات بلجيكا لتقسيم هذا الإقليم إلى دولتين مستقلتين استقلالاً مزعوماً.

٢-٢ النتائج التي حققها المؤتمر

إن أهم نتيجة خرج بها المؤتمر هي نشر "ميثاق الدار البيضاء الإفريقي" الذي أسس لاتحاد إفريقي على مبادئ التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري، وأسس له مؤسسات تنظيمية تضمن له الاستمرارية والفعالية، وذلك للخروج من النطاق النظري إلى إطار العمل التطبيقي.

١-٢ مبادئ المؤتمر وآليات تفعيله

١-٢ (١/٢) - على مستوى المبادئ

كانت حصيلة المؤتمر تركز مجموعة من المبادئ التي تضمنها ميثاق الدار البيضاء الإفريقي، والتي تهدف إلى التعاون ضد الاستعمار والتدخل الخارجي. ولعل أهم هذه المبادئ هي:

مبدأ الوحدة الإفريقية:

نصت الفقرة الأولى من البيان الختامي للمؤتمر على أن رؤساء الدول الإفريقية المجتمعين في الدار البيضاء يعلنون تصميمهم على العمل على نصرته الحرة في جميع أرجاء إفريقيا وتحقيق وحدتها. إلا أن الزعماء الأفارقة اختلفوا في تفسير هذه الوحدة: هل هي وحدة سيادات؟ أم وحدة تضامنية؟ إلا أنه على

(١/٢) ٦- مكتب الاتصال:

هو الأمانة العامة لمنظمة الدار البيضاء، وقد تم الاتفاق على أن يكون مقره في مدينة "باماكو" عاصمة جمهورية مالي^(٢٩).

٢/٢- تقييم حصيلة مؤتمر الدار البيضاء

لقد أسفرت اجتماعات الرؤساء الأفارقة أثناء انعقاد المؤتمر عن التوقيع على بروتوكول كان الغرض منه تنفيذ ميثاق الدار البيضاء الإفريقي الذي قدمه الملك محمد الخامس. ورغم عدم مشاركة دول كثيرة فيه، فإن ميثاق الدار البيضاء لم يغفل هذه الدول، وترك بابها مفتوحاً لعضوية باقي الدول الإفريقية، كما أن قرارات هذا المؤتمر لم تقتصر على الدول الخمس الأعضاء^(٣٠) بل امتدت إلى باقي الدول الإفريقية المستقلة للمساهمة في العمل الإيجابي من أجل حماية القارة من الأطماع الاستعمارية. ومع ذلك، فلم يستطع هذا المؤتمر أن يحقق الأهداف التي رسمها لنفسه ولا أن يحقق الأمل الذي كان معقوداً عليه، وذلك على الرغم من إنشاء اللجان والهيئات المتعددة وإبرام اتفاقيات، وإصدار القرارات وتعدد الاجتماعات في مختلف عواصم الدول الأعضاء، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل حالت دون استكمال المشروع نجملها فيما يلي:

- البعد الجغرافي بين الدول الأعضاء وعدم وجود وسائل المواصلات، تسبب في صعوبة التواصل والاتصال بين أطراف المجموعة.
- اختلاف النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول الأعضاء.
- المشاركة الرمزية لبعض الدول كالجائر، وذلك بسبب حربها مع فرنسا في سبيل الاستقلال.
- النقد الذي وجه للمؤتمرين من لدن دول أخرى لم يتم استدعاؤها إلى درجة أن وصفت بعض وسائل الإعلام أن اللقاء كان ندوة وليس مؤتمراً كما هو الشأن لتونس التي لم تستدعى بسبب الاختلاف الكبير في وجهات النظر في العلاقة مع المستعمر وبسبب تقارب سياستها المعتدلة والمحافضة آنذاك مع فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وأيضاً انتمائها للمجموعة الإفريقية لدول متروفا التي تؤمن باستمرار التعاون مع الدول الغربية.
- وجود حزازات مع بعض الدول التي لم تستدعى أيضاً مثل موريتانيا، بسبب الموقف المغربي، إضافة إلى دول أخرى كانت ما تزال تحت الاستعمار.

الجمعية الاستشارية الإفريقية: وهي عبارة عن مؤسسة تشريعية تتألف من ممثلي كل الدول الإفريقية، ويكون لها مقر دائم، وتعقد جلسات دورية. إلا أن هذه المؤسسة لم يكتب لها أن تظهر على أرض الواقع.

اللجنة السياسية الإفريقية: وتضم رؤساء الدول الأعضاء، أو ممثليهم المفوضين، وتعد أعلى مؤسسة تنفيذية وتشريعية في مجموعة المؤسسات المقترحة. وقد عقدت أول اجتماع لها في القاهرة في غشت من سنة ١٩٦١، أما الثاني فقد كان أيضاً في القاهرة سنة ١٩٦٢.

(١/٢) ٣- اللجنة الاقتصادية الإفريقية:

وتتكون من وزراء الاقتصاد للدول الإفريقية أو من ينوب عنهم وتجتمع بصفة دورية، وتقدم إلى اللجنة السياسية الإفريقية تقريراً عن المشاكل الاقتصادية التي تعالجها، كما تقدم إليها أيضاً تقريراً سنوياً عن نشاطها خلال العام. ومن مهام هذه اللجنة إنشاء اتصالات بريدية سلكية بين مختلف العواصم الإفريقية. واجتمعت هذه اللجنة لأول مرة في "كوناكري" ما بين ١٧ و٢٤ يوليو ١٩٦١. أما ثاني اجتماع لها كان بـ"القاهرة" ما بين ٢٦ مارس إلى ٢١ أبريل ١٩٦٢. وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن إنشاء سوق إفريقية مشتركة، وبنك إفريقي للتنمية واتحاد إفريقي للمدفوعات ومجلس الوحدة الاقتصادية الإفريقية، وإنشاء هيئة طيران إفريقية واتحاد البريد الإفريقي. لكن ارتباط اقتصاد الدول الإفريقية بالدول المستعمرة جعل تحقيق هذه الأهداف صعب المنال.

(١/٢) ٤- اللجنة الثقافية الإفريقية:

وتتكون من وزراء التربية والتعليم للدول الأعضاء، أو من ينوب عنهم وتجتمع بصفة ودية وتقدم إلى اللجنة السياسية الإفريقية تقريراً عن المشاكل التي تعالجها، كما تقدم إليها تقريراً سنوياً عن نشاطها العام. وكان أول اجتماع لها بطنجة في فاتح غشت سنة ١٩٦١، واتخذت عدة قرارات منها قرار إنشاء معهد الدراسات الإفريقية، الذي ما يزال يقوم بعدة دراسات وينشرها في مجالات مختلفة.

(١/٢) ٥- القيادة العليا الإفريقية المشتركة:

وتضم هذه القيادة رؤساء أركان حرب الدول الأعضاء أو من ينوب عنهم، ويفترض أن تجتمع بصفة دورية وتقدم تقريراً إلى اللجنة السياسية الإفريقية. إلا أنه لم يثبت لهذه اللجنة أن عقدت أي لقاء.

الهوامش:

- (١) حلمي شعراوي: **إفريقيا من قرن إلى قرن**. مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٠ ص: ٥.
- (٢) عصام محسن الجبوري: **"العلاقات العربية الإفريقية ١٩٦١-١٩٧٧"**. دار الرشيد للنشر، ١٩٨١ ص: ١٣٩.
- (3) Revue Afrique Action, 2 janvier 1961, p6.
- (4) Adellah saaf, le Maroc et l'Afrique après l'indépendance, université Mohammed V, Institut des Etudes Africaines, Rabat ١٩٩٦.P 112.
- (5) une première rencontre se teint à Acra du 05 au 13 décembre 1958, une deuxième se teint à Tunisie du 25 au 30 janvier 1960.
- (6) Adelkader el kadiri: «les groupements régionaux en Afrique antérieurs à L'OUA: le cas du group de Casablanca», Instituts des Etudes Africaines, N°4,Rabat 1996, p.113.
- (٧) كوامي نيكروما، **تحدي الكونغو: دراسة حالات الضغوط الخارجية في دولة مستقلة**. دار ملتقى للنشر، ٢٠٠١ ص: ١٥٠.
- (٨) عبد الرحمان حمادي: **"جوانب من التعاون العربي الإفريقي"**. مجلة الوحدة، العدد ٩٧، أكتوبر ١٩٩٢.
- (٩) خطاب الملك محمد الخامس في افتتاح المؤتمر بخصوص هذه الأزمة. يناير ١٩٦١.
- (١٠) **جريدة العهد الجديد**، ٢٤ غشت ١٩٦٠ ص ١.
- (١١) ذهبت البيعة إلى الكونغو يوم ١٨ غشت ١٩٦٠، وكانت تتضمن فنيين إداريين وأطباء ومهندسين، عن العهد الجديد، ١٩ غشت ١٩٦٠ ص ١.
- (١٢) **وزارة الشؤون الخارجية الدبلوماسية في عشر سنوات: ١٩٥٦-١٩٦٦** (تقرير).
- (١٣) **الموسوعة العالمية**، ج٤، ص ٩٠٢-٩٠٣.
- (١٤) **جريدة العلم**، بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٦١ ص ٥.
- (١٥) الداوي ولد سيدي بابا: **"حول منظمة الوحدة الإفريقية"**، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٧٣، ص ١٤.
- (١٦) بنزرقة البكاي: **"العلاقات العربية الإفريقية بين الثابت والمتحول"**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، كلية الحقوق أكادال الرباط، ١٩٩١، ص: ٣٤.
- (١٧) محمد العربي المساري: **"المغرب ومحيطه"**، شركة ثوب للاستثمار والخدمات للطباعة والنشر، أكادال الرباط، الجزء الأول، ١٩٩٨، ص: ١٦.
- (١٨) **جريدة التحرير**، العدد ٢٨٧ بتاريخ يناير ١٩٦١، والعدد ٢٨٩ بتاريخ ٤ يناير ١٩٦١.
- (19) Mohamed bouzidi: «Maghreb et l'Afrique subsaharienne» in Annuaire de l'Afrique du Nord 1978, p.100.
- (٢٠) وسيم كمال أسكندر. دور حركة الوعي الأسود في الحياة السياسية لجنوب. المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٦، ص ٣٣.
- (٢١) كوامينكروما، **تحدي الكونغو**، م.س. ص: ١٥١.

- رفض بعض الدول التي كانت مستعمرة من طرف إنجلترا المشاركة في المؤتمر رغم دعوتها مثل نيجيريا. كما أن السينغال لم تشارك في المؤتمر لأسباب غير معروفة.
- قيام بعض التكتلات داخل المجموعة مثل الاتحاد بين غانا وغينيا ومالي في يوليو ١٩٦١.
- نشوب خلافات بين عدد من دول المجموعة مثل الخلاف الحدودي بين الجزائر والمغرب، والخلاف بين مصر وغانا حول إسرائيل.
- الوفاة المفاجئة للملك محمد الخامس في فبراير ١٩٦١ أي بعد أقل من ثلاثة أشهر من عقد المؤتمر، خاصة وأنه قام بدور هام في الوساطة بين أعضاء المجموعة، لأنه كان يعتبر أحد قادة التحرر الإفريقي بحكم دوره الروحي في ميدان العمل الإفريقي، وانشغال خلفه الحسن الثاني بالوضع الداخلي للبلاد، وذلك نتيجة التحديات التي كان المغرب يواجهها آنذاك.

خاتمة

رغم الإنجازات المتواضعة التي حققها مؤتمر الدار البيضاء، فإنه شكل نجاحا للحكومة المغربية على مستويين: أولهما تعبير الدول الأعضاء عن مساندتهم لمطالب المغرب في وحدته الترابية، وثانيهما إعطاء النظام المغربي صورة ذات طابع ثوري داخليًا دوليًا، باعتبار أن الملك محمد الخامس كان الأب الروحي لهذا المؤتمر. أما على المستوى الإفريقي، فقد حقق مؤتمر الدار البيضاء مجموعة من المكاسب تجلت في إرسال اللبنة الأولى لتحقيق التعاون الإفريقي في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، ووضع أسس الوحدة الإفريقية عن طريق تكريس فكرة التضامن الإفريقي بالقول والفعل. ولعل مشاركة الأفارقة في حماية الوحدة الوطنية للكونغو، وعقد مؤتمر أديس أبابا في ماي ١٩٦٣، خير دليل على قناعة الزعماء الأفارقة بالفكر الوحدوي الذي وضع لبناته الأولى الملك محمد الخامس، مما يعد صورة من صور ممارسة الدبلوماسية المغربية التي دخلت التاريخ للبقاء فيه وإن لم يكتب لها الاستمرار.

- (٢٢) انظر بهذا الخصوص: "قرارات مؤتمر الدار البيضاء وخطب محمد الخامس أثناء افتتاح واختتام المؤتمر.
- (٢٣) **إعلان الدار البيضاء، تسوية بين مطالب السياسي ومصالح الاقتصادي**. مجلة المستقبل العربي، عدد ١٩٣، مارس ١٩٩٥.
- (٢٤) معهد الدراسات الإفريقية (تنسيق: عبد الله ساعف) **المغرب وإفريقيا بعد الاستقلال**. الرباط، ١٩٩٦، مجموعة من دراسات باللغة العربية والفرنسية.
- (25) <http://www.un.org/ar/decolonization/selfdet.shtml>.
- (٢٦) محمد صادق إسماعيل. **تجربة جنوب أفريقيا**. العربي. للنشر والتوزيع. ٢٠١٤، ص: ١٢٧.
- (٢٧) انظر: الفقرة الثانية من **ميثاق كوامي نكروما تحدي الكونغو**. م.س. ص: ١٥٢.
- (٢٨) حول هذه المبادئ راجع نص البيان الختامي للمؤتمر، **جريدة العلم**، بتاريخ ٨ يناير ١٩٦١.
- (29) Voir Abd ELKADER EL KADIRI: «Les groupements régionaux en Afrique Antérieurs, a L'OUA», op. cit p: 111-112
- (٣٠) وهي غانا ومالي والجمهورية العربية المتحدة والحكومة الجزائرية المؤقتة، وليبيا التي اكتفت بالحضور كملاحظ، ويعكس تراجع دول أخرى، عن المشاركة حالة الانقسام في القارة بين هذه المجموعة التي وصفت بالثورية والتقدمية، وبين مجموعة منروفيا التي ضمت عدد أكبر من الدول بقيادة نيجيريا. - لمزيد من التفاصيل انظر: الدكتور الحسان بوقنطار: **"السياسة الخارجية المغربية الفاعلون والتفاعلات"**، شركة بابل للطباعة والنشر للتوزيع، طبعة ٢٠٠٢، ص: ١٩٥.